الفصـل الرابـع

4.2 - موضوع الكتابة في التراث

نجد في التراث الفكري العربي اهتماماً بالكتابة كفعالية فنية جمالية، لا يتجاوز هذا الحد إلى تقديم وصف واف للأدلة الخطية كأدلة قائمة الذات، ولا إلى الخوض النظري في القدرة التمثيلية لهذه الأدلة.

إن المؤلفات التي عالجت موضوع الكتابة والخط في التراث على كثرتهـا (رسائـل، كتب، منظومات. . .) لم تتجاوز في موضوعها حدود قواعد تحسين الخط وضبط الكتابة، كما هو الشأن في رسائل ابن مقلة. وفي حالات أخرى، يقف الباحث على منظورات تعالج الأدلة الخطية وفق تصورات صوفية، بحيث تقدم هذه الكتابات، تفسيرات وأوصافاً تحل في الأشكال معان صوفية، وتمنحها بعداً روحانياً كما هو الأمر لدى «محيـي الدين بن عربي» في «الفتوحات المكية».

* أما الصيغة الأكثر تقدماً في هذا الباب، فيمكن الوقوف عليها لدى بعض المتكلمين والفلاسفة، مثل ما يقدمه إخوان الصفا في رسائلهم من محاولة للبحث في أصل الحـروف والأشكال، وبيان النموذج الذي تمت محاكاته في وضعها واعتمـادها، وكـذا تفسير صيغـة ترتيبها.

فعند «إخوان الصفا» توجد محاولة تأويلية لأيقونية الشكل الخطي وهيئة الحروف، غير أن عملهم على العموم، يظل محكوماً بتصورات فكرية واعتقادية، لا ندعي إحاطة بأصولها ولا بالتوجهات التي تضبطها.

وخلاصة ما يمكن أن يحتفظ به مما قدموه، يمكن تركيزها في اعتبارهم الحروف تمثيلاً عددياً وهيئياً للعام الذي يمثله الكون الكبير، والخاص الجزئي ممثلاً في جسم الإنسان. والعام والخاص هما من صنع الخالق يقولون: «. . . فمن الموجودات التي عدتها ثمانية وعشرون في العالم الكبير، منازل القمر، فإنها ثمانية وعشرون منزلاً، أربعة عشر فوق الأرض وأربعة عشر تحت الأرض، وهي في موضع اليمين واليسار، منها أربعة عشر في البروج الشمالية، وأربعة